

المتن

الخاتمة

إذا قال قائل قد عرفنا بطلان مذهب أهل التأويل في باب الصفات، ومن المعلوم أن الأشاعرة من أهل التأويل فكيف يكون مذهبهم باطلاً وقد قيل: إنهم يمثلون اليوم خمسة وتسعين بالمائة من المسلمين؟!

الشرح

نعم قيل هذا. كتب بعض الناس كتاباً نُشِرَ في الصحف يتكلم عن مذهب الأشاعرة وأنه من مذهب أهل السنة والجماعة وأن أهل السنة والجماعة ينقسمون إلى قسمين: مَفْوضَة ومؤولة. فالمفوضة: الذين يقولون: الله أعلم بما أراد ويسكتون. والمؤولة: الذين يُحرفون النصوص.

ويقول: أن المؤولة ومنهم الأشاعرة بل قال: إن الأشاعرة يُمثلون اليوم خمسة وتسعين بالمائة من المسلمين يعني ما بقي على مذهب السلف إلا خمسة بالمائة فقط والباقيون كلهم أشاعرة. ومعلوم أن هذا الكلام في الحقيقة ما هو صحيح كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

المتن

وكيف يكون باطلاً وقدوتهم في ذلك أبو الحسن الأشعري؟
وكيف يكون باطلاً وفيهم فلان وفلان من العلماء المعروفين بالنصيحة لله ولكتابه
ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم؟

الشرح

كم الأسئلة الآن الأسئلة ثلاثة:

الأول: كيف نقول إن الأشاعرة مذهبهم باطل مع أنهم يمثلون اليوم 95% .

ثانياً: كيف نقول إن مذهبهم باطل وقدوتهم أبو الحسن الأشعري؟

ثالثاً: كيف نقول إن مذهبهم باطل وفيهم فلان وفلان من العلماء؟ ولم نعين أسماءهم لأنهم

معروفون. يوجد من الأشاعرة من العلماء الناصحين المعروفين بالصدق والإخلاص ونفع المسلمين ما هو ظاهر؛ كالنووي -رحمه الله- مثلاً. النووي لاشك أن الرجل عالم مخلص نفع الله بعلمه ولهذا ما أكثر الذين يعتبرون قوله وينقلونه ويحتجون به وهو كذلك -رحمه الله- لكن مع هذا في باب الصفات صار مخطئاً فيها -رحمه الله- وعفا عنه. كيف نقول إن الأشاعرة مذهبهم باطل وفيهم مثل هذا الرجل؟ واضح؟ لأن بعض الناس يحتاج بالرجال على الحق؛ والواجب أن نحتاج بالحق على الرجال. وما هو بالرجال على الحق.

المتن

قلنا: الجواب عن السؤال الأول: أننا لا نسلم أن تكون نسبة الأشاعرة بهذا القدر بالنسبة لسائر فرق المسلمين، فإن هذه دعوى تحتاج إلى إثبات عن طريق الإحصاء الدقيق.

ثم لو سلمنا أنهم بهذا القدر أو أكثر فإنه لا يقتضي عصمتهم من الخطأ؛ لأن العصمة في إجماع المسلمين لا في الأكثر.

ثم نقول: إن إجماع المسلمين قديماً ثابت على خلاف ما كان عليه أهل التأويل، فإن السلف الصالح من صدر هذه الأمة "وهم الصحابة" الذين هم خير القرون والتابعون لهم

ياحسان وأئمة الهدى من بعدهم كانوا مجمعين على إثبات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله من الأسماء والصفات، وإجراء النصوص على ظاهرها اللائق بالله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وهم خير القرون بنص الرسول صلى الله عليه وسلم، وإجماعهم حجة ملزمة؛ لأنه مقتضى الكتاب والسنة، وقد سبق نقل الإجماع عنهم في القاعدة الرابعة من قواعد نصوص الصفات.

الشرح

إذن الجواب على هذا السؤال من ثلاثة أوجه:

أولاً: المنع؛ يعني أننا نمنع أن يكون نسبة الأشاعرة إلى المسلمين خمسة وتسعون في المئة. ووجه المنع أن نقول: هل أجريت إحصائية؟ الجواب: لا؛ لكن هذا وهم. توهم أن نسبة الأشاعرة إلى المسلمين خمسة وتسعون في المئة؛ وهذا لا يسلم.

ثانياً: لوسلما جدلاً على أنهم بهذا القدر أنهم خمسة وتسعون في المئة في الوقت المعاصر فهل هذا يقتضي عصمتهم من الخطأ؟ لا. العصمة في إيش؟ في الإجماع أما قول الأكثر فقد يكون هو الخطأ وقول الأقل هو الصواب كما في هذه المسألة لاشك أنه وإن كان من الأشاعرة خمسة وتسعون في المئة فإن قول الخمسة في المئة هو الصواب الموافق لمذهب السلف.

ثالثاً: إذا كانوا اليوم كما تزعمون خمسة وتسعون في المئة فإنهم في صدر سلف الأمة ليسوا بشيء لأن سلف الأمة مجمعون على خلاف مذهب الأشاعرة؛ وإجماع السلف الصالح حجة ملزمة. فكان على الأشاعرة وعلى غيرهم ممن خالفوا هذا المذهب أن يرجعوا إلى ما

أَجْمَعُ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ أُمَّةٍ الْهُدَى. وَاضِحٌ الْآنَ؟
فَالْأَجْوِبَةُ صَارَتْ ثَلَاثَةً:

أَوَّلًا "الْمَنْعُ" وَحُجَّةُ الْمَنْعِ أَنَّه لَمْ يُجْرَ إِحْصَائِيَّةٌ. مَا طَافَ فِي الْبُلْدَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا وَنَظَرَ.
ثَانِيًا "التَّسْلِيمُ" وَلَكِنْ نَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ كَثْرَتُهُمْ دَلِيلًا عَلَى الصَّوَابِ لِأَنَّ الصَّوَابَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي
الْإِجْمَاعِ.

ثَالِثًا: أَنْ نَقُولَ: هَبْ أَنَّهُمْ خَمْسَةٌ وَتَسْعُونَ فِي الْمِئَةِ الْآنَ لَكِنَّمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ فِي صَدْرِ سَلْفِ
الْأُمَّةِ لَمْ يَوْجَدْ هَذَا الْمَذْهَبَ أُصْلًا. فَالْإِجْمَاعُ فِي صَدْرِ سَلْفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى خِلَافِ
مَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَشَاعِرَةُ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ. بِهَذَا بَطُلَ تَعَلُّقُهُ الَّذِي تَشَبَّهَ بِهِ فِي
سُؤَالِهِ الْأَوَّلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.